



أي خطة في اسرائيل؟

على الدوام كانت هناك "خطة اسرائيلية" او مخطط او شيء من هذا القبيل، والافتراض السائد ان افعال اسرائيل تخضع بالضرورة لحسابات مسبقة. هذا صحيح الى حد بعيد. فرغم ان الحسابات الاسرائيلية لم تتجاوز يوماً الامد المنظور، بخلاف ما رآه فيها العقل السياسي العربي، يفيد تاريخ الصراع في الشرق الاوسط ان الحركة الصهيونية، قبل قيام الدولة وبعدها، امتلكت القدرة على التحكم بصيرورة هذا الصراع بواسطة مبادراتها العسكرية او الدبلوماسية وحتى برود افعالها على الافعال العربية. وهكذا، صارت تلك القدرة الاسرائيلية على التحكم من ثوابت السياسة... العربية! ويبدو انه جاء وقت التحلي عن هذه القاعدة، اذ يصعب على من يتابع سياسة آرييل شارون ان يعثر على خطة واضحة وراءها. طبعاً، يمكن التكهن بان نيات شارون ليست صافية على الاطلاق، وبن سليفته العسكرية والسياسية تدفعه الى الاستمرار في ما تعود عليه من تدمير للفلسطينيين. غير ان سبر النيات، حتى وان اصاب، لا يفضي الى التنبؤ من وجود خطة. ولا تكرار المجازر يفيد عن منطق سياسي "عقلاني"، كما كانت الحال في حرب ١٩٤٨ حين كانت للمجزرة وظيفة مرسومة بدم بارد في عملية تهجير الفلسطينيين، او في مراحل لاحقة حين كان الهدف من القتل الجماعي ردع الاعداء.

حتى الجرائم الجماعية التي اشرف عليها شارون في ١٩٥٣ و ١٩٧٠ و ١٩٧٣ و ١٩٨٢، وفسرت كل مرة من القيادة الاسرائيلية على انها نتجت من حماوة رأسه، اكتسبت معنى عسكرياً في سياق السياسة المتبعة اسرائيلياً في لحظة حصولها. لكن ما حدث في الاسابيع الاخيرة في الاراضي الفلسطينية، بما في ذلك مجزرة بيت ريماء، اي منطق ينظمه؟ التهيب؟ انه وسيلة، وليس خطة. لو كان شارون حراً في تصرفاته، لكان امكن القول ان التهيب يهدف الى فرض امر واقع جديد على طريق تهجير مكرّر.

الا ان شارون ليس حراً بالكامل، وتلك مشكلته تحديداً. حتى في ظل السكوت الاميركي الذي استمر منذ وصوله الى السلطة (المتزامن مع بداية ادارة بوش)، عجز رئيس الحكومة الاسرائيلية عن التخلص من منطق التسوية السلمية، وان يكن اشبع آلية التسوية ضرباً، فظل يبدو كأنه يفتقر الى روزنامة سياسية غير روزنامة تضييع الوقت. فكم بالحري بعدما استفاقت الولايات المتحدة الى "رؤية" تندرج فيها دولة فلسطينية قابلة للعيش؟ اكثر من ذلك، فان شارون نفسه بات يسلم بضرورة اقامة دولة فلسطينية - اياً يكن المحتوى الذي يريده لهذا المصطلح. كما انه، من جهة اخرى، يجهد ليشرح ان احتلال مناطق السلطة الفلسطينية موقت. واذا كان هذا الاحتلال الجديد لا يحمل اضافة من وجهة نظر اسرائيلية، فلم اللجوء اليه؟ لأن حسابات الربح والخسارة لم تعد تتحكم بالسياسة الاسرائيلية، وحلت مكانها ردود الفعل العصبية.

على المستوى الشخصي اولاً، حيث تتصافر التهديدات الآتية من اليمين والموحّة بطيف بنيامين نتانياهو مع ازمة الهوية المستقلة بحزب العمل لتهدد استمرار حكومة شارون وتحول دون اتخاذ قرارات قاطعة في هذا الاتجاه او ذلك. ولكن ايضاً على المستوى الاستراتيجي، حيث تنزعزع الجغرافيا السياسية التي ارادت المؤسسة الاسرائيلية ان تبرر بها موقعها المهيمن. ليست المرة



الاولى التي تتعرض فيها وظيفة اسرائيل ل"تحديد"، صحيح. فقد حدث ذلك في حرب الخليج، ووجد الاسرائيليون صعوبة في هضم التصرف الاستثنائي الذي طلب منهم آنئذ. غير ان تكرار المشهد بعد عشر سنين من شأنه ان يقض مضاجع مفكريهم الاستراتيجيين: اذاً، حرب الخليج لم تكن استثناءً ولم تعد اسرائيل قادرة على تلبية الحاجة الاميركية عندما تنشأ ازمة اقليمية تمس بمصالح الولايات المتحدة، بل صارت تعتبر من الاعباء.

قطعاً، لن نصل الى مرحلة التناقض بين وجود اسرائيل والسياسة الاميركية، وخصوصاً ان محددات هذه السياسة لا تختزلها الازمة الراهنة، مهما بلغت من حدة. الا اننا وصلنا بالتأكيد الى مرحلة التناقض بين المصلحة الاميركية المباشرة والاحادية الاسرائيلية، وهذا بالنسبة الى اسرائيل بمثابة الزلزال. وهل من خطة تدوم وسط الزلازل؟ ولا حتى خطة الهروب الى الامام.

سمير قصير



Id-Reference	01-Pr-000477	
Media	(Support)	HC
Title		أي خطة في اسرائيل؟
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠١/١٠/٢٦ 26/10/2001
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	اريبيل.شارون - بنيامين.نتنياهو
	Locations	فلسطين - اسرائيل - شرق.اوسط -
	Dates	١٩٤٨ - ١٩٧٠ - ١٩٥٣ - ١٩٧٣ - ١٩٨٢
	Themes	فلسطين - اسرائيل - صراع - حركة.صهيونية - عرب - اريبيل.شارون - احتلال - حرب.١٩٤٨ - تهجير.فلسطينيين - جغرافيا.سياسية - سياسة.اسرائيلية - مجزرة.بيت.ريما - تسوية.سلمية - حزب.عمل - حكومة.شارون - حرب.خليج - ولايات.متحدة -
Subject		